

النبي ﷺ وضع القواعد العامة والأسس المنهجية التي تكفل صحة وسلامة الفرد والمجتمع

الإنسان.. بين البيئة والوراثة

معظم الناس الآن.. على وعى كبير بأهمية الوقاية من الأمراض.. خصوصاً بعدما دخلت وسائل الإعلام كل البيوت.. وصارت تتطرق لموضوعات البيئة وصحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية

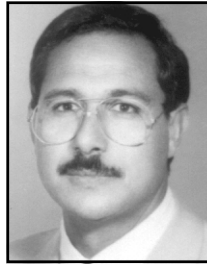
الطوق أصحاب عقلاء، نافعين لأنفسهم ووطنهم.

يُلخص الغزالي -رحمه الله- أهمية التربية الصحيحة السليمة، في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» بقوله: «إن نظام الدين لا يصلح إلا بنظام الدنيا؛ فنظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من: الكسوة، والمسكن، والأقوات، والأمن.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية.. فبان إذن أن نظام الدنيا شرط لنظام الدين».

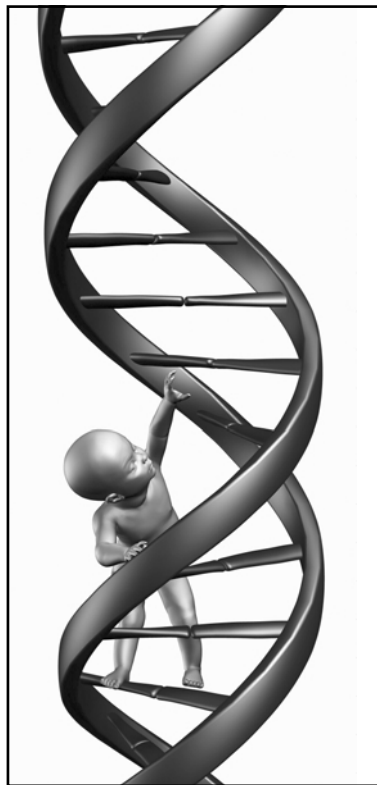
ومن ناحية أخرى، فإن التربية الصحية السليمة، لا تقتصر على الاهتمام بالمعلومات الخاصة ببيولوجيا الإنسان، والإرشادات الخاصة بمشكلاته الآتية، فاهتماماتها وموضوعاتها مرتبطة بحياة الإنسان وحركة حياته في المجتمع، وهي أيضاً مرتبطة بالمعلومات الخاصة بالعناية بالصحة العامة والاحتياجات الجسمية للشباب منذ فترة تكوينهم المبكرة وطوال عمرهم، والذين سيشهد القسم الأكبر من حياتهم الناضجة القرن الحادي والعشرون، لا سيما وهم يواجهون بتحديات كثيرة وخطيرة من كل حذب وصوب.

وستظل تلك القواعد العلمية السليمة هي المنهل العذب، والنبع الصافي، الذي تستمد منه النفوس والقلوب والعقول، ما يغذيها ويروي ظمأها، ويدفع عنها أى انحراف عن الجادة أو انجراف نحو الهاوية.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقومات الأساسية للحياة بوضوح وجلال، واعتبر مجرد توافرها واستمتاع المرء بها بمثابة امتلاك الدنيا بحذافيرها، إذ قال



د. محمد فتحي فرج
رئيس فرع المنوفية



الإنسان بوجه عام، محكوم بعاملين؛ أولهما لا دخل له أو لأى أحد فيه، وهو الوراثة البيولوجية. أما النوع الثاني فهو أيضاً نوع آخر من الوراثة، بيد أنه يختلف عن النوع الأول في كونه يمثل بالنسبة للطفل ظروفاً اجتماعية؛ ولذا يُعرفه علماء التربية والسلوك بالوراثة الاجتماعية، ويتضمن كل العوامل التي تسهم في تشكيل وتوجيه الطفل، منذ نعومة أظفاره من بيئة منزلية، وبيئة مدرسية، وقيم دينية، وإعلام، وتشريع، وآداب، وعادات وتقاليد.. باختصار كل ما من شأنه تشكيل العناصر البيئية المختلطة التي يحيا في ظلها الفرد.

والنوع الأول لا سبيل إلى تغييره؛ إذ إنه يمثل حتمية بيولوجية قدرية، أو إن أردت الدقة قلت: إنه رزق المرء من محصوله الوراثي، من جهة أبيه ومن جهة أمه. أما النوع الثاني: فبمقدور عناصر المجتمع الفاعلة -في البيئة المنزلية والمدرسية والمؤسسة الدينية والشارع ووسائل الإعلام المختلفة- تغييره والعمل على تحسينه.

الوراثة الاجتماعية

ومن هنا فإذا لم يكن بمقدورنا -ولا ينبغي لنا- التحكم في العوامل الوراثية، فيجب أن نوجه كل طاقتنا نحو تغيير وتطوير وتحسين عوامل الوراثة الاجتماعية، المتصلة بتنشئة وتربية وتعليم الناشئة، حتى يشبوا عن

يسوغ في اللسان، فضلاً عن الفكر أو الخيال. والقول بالارتقاء الدائم من طريق المصادفة زعم يهون معه التصديق بالخرافات، وخوارق العادات في تركيب الأجسام أو الأحياء.

ثم يقول في فقرة أخرى: القول بأن المادة تخلق العقل كقول بأن الحجر يخلق البيت وأن البيت يخلق الساكن فيه، وأيسر من ذلك عقلاً بل ألزم من ذلك عقلاً أن العقل والمادة موجودان، وأن أحدهما بأن يسبق الآخر ويخلقه هو العقل؛ لأن المادة لا توجد ما هو أفضل منها وفاقد الشيء لا يعطيه... ومن ثم فأنا أؤمن بالله وراثته، وأؤمن بالله شعوراً، وأؤمن بالله بعد تفكير طويل.

ويقول العقاد في كتاب آخر، حول نظرية التطور: وإذا رجعنا إلى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علماً قاطعاً مفروغاً منه من أصوله وفروعه، حتى إن أكبر أنصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته.

أما خلاصة رأيه في هذه النظرية، فقد أوردها في كتاب «الفلسفة القرآنية» حيث يقول في فصل بعنوان «تفسير القرآن في العصر الحديث» ما يلي: «الذين أنكروا مذهب التطور يحق لهم أن ينكروه من عند أنفسهم؛ لأنهم لم يطمئنوا إلى براهينه ودعاواه، ولكنهم لا يجوز لهم أن ينكروه استناداً إلى القرآن الكريم؛ لأنهم لا يملكون أن يفسروا خلق السلالة الأدمية والسلوك. أدركنا جلياً أن العمل على تحسين الأحوال البيئية والصحية والغذائية والسلوكية والاجتماعية، يمكن أن يسهم كثيراً في الاستفادة المثلى للأفراد بما وهبهم الله من ثروة وراثية سواء كانت عالية القيمة أو متواضعة.

وفي النهاية، أحب أن أنوه بقصة طريفة، فقد التقى سبعة من المعمرين والمعمرات -معظمهم في العقد العاشر من عمرهم- وقد التفوا حول دائرة مستديرة؛ لمناقشة أهم العوامل التي تسهم في طول العمر، وحينما أجاب كل منهم عن السؤال نفسه، من خلال تجاربه الشخصية، كانت إجاباتهم على النحو التالي: لا أفرط في تناول الطعام، لا أتعاطى الخمر، لم أذخن طوال عمري، لا أتعاطى إلا القليل جداً من الأدوية وعند اللزوم فقط، أنام ثمان ساعات يومياً بانتظام، أزالو الرياضة البدنية كل يوم. وقد اشترك الجميع في إجابة مؤداها: الحرص على العمل بجد ودأب وصبر طوال أعمارهم، بل أكدوا أنهم ما زالوا حتى وقت مناقشتهم تلك، يعملون ويكدحون، دون ملل أو توقف.



**الحرص على العمل بجد
ودأب.. إضافة إلى عدم
الإفراط في تناول الطعام
والدواء.. والبعد عن الخمر
والسجائر-تضمن جميعها
شخصاً قوياً.. خالياً من
الأمراض والعلل**

والصحة الإنجابية ورعاية الصغار والتوجيهات السليمة الخاصة بها، وغيرها من الموضوعات المرتبطة بصحة الإنسان الجسمية والنفسية والعقلية. ومن المهم أن نربط ذلك بتوجيهات ديننا الحنيف الذي لم يترك شاردة أو واردة في حياة المسلم إلا وكان له فيها الرأي السديد، والقول الفصل، والله تعالى يقول: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٢٨].

العقاد ونظرية التطور

في فصل له بعنوان «إيماني» من كتابه بعنوان «أنا» يقول العقاد: القول بالتطور في عالم لا أول له خرافة تُعرض عنها العقول؛ لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شيء جديد في العالم، وحدث التطور بغير ابتداء تناقض لا

صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». وقال أيضاً: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفرغ». ومن ثم فقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم القواعد العامة، والأسس المنهجية لأصحابه وأتباعه فيما يختص بالمقومات الأساسية التي تكفل الصحة والسلامة للفرد والمجتمع.

الاتجاهات الحديثة

هذا، والاتجاهات الحديثة في مجال التربية الصحية السليمة، تنزع أيضاً نحو عدم الفصل بين مختلف الجوانب البيولوجية والتربوية والسلوكية والاجتماعية، في إطار من التكامل بين هذه الجوانب مجتمعة. ومما يتلج الصدر أن معظم الناس، في الوقت الراهن، على وعى كبير بأهمية الوقاية من الأمراض، كما أن وسائل الإعلام تقوم أيضاً بدور مهم في إزالة الحواجز، التي كانت تحول دون مناقشة الموضوعات، التي تدور حول السلوك الجنسي المشين «وضرورة محاربهه وقاية للفرد والمجتمع»، وإساءة استعمال العقاقير والمخدرات والتدخين وتناول الكحوليات «وضرورة الإقلاع عنها جميعاً لتحريم الله لها، لخطرها العظيم على الإنسان والإنسانية جمعاء»، والموضوعات الخاصة بالصحة الإنجابية، كالإجهاض